أبو الحسين الرازي وآثاره

للدكتور غيرهارد كونراد

الدكتور ستيفن ليدر

إن تأريخ مدينة دمشق للإمام أبي القاسم علي المعروف بابن عساكر من أهم المصادر لتأريخ بلاد الشام . وقد نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ثلاثة عشر مجلداً من هذا الكتاب العظيم ، الذي جمع فيه مؤلفه روايات نادرة لصحف وكتب عديدة ، من بينها أقدم المؤلفات في تأريخ بلاد الشام .

صنف ابن عساكر تراجم علماء دمشق وفضلائها وأمرائها على ترتيب حروف الهجاء . وكان يورد الأسانيد الكاملة لكل خبر أو قول . ويعدّ هذا الكتاب موسوعة للمكتبة العربية القديمة ، ولا سيما في مجال التأريخ والتراجم .

ومع شهرة تأريخ مدينة دمشقَ شرقاً وغرباً فإن البحث فيه ما زال في مراحله الأولى . ولعل ما يعرقل جماعة الباحثين من تعميق النظر فيه أن أغلب مجلداته ما زالت مخطوطة ، ولن تتسع معرفتنا لمنهج ابن عساكر والمصادر التي اعتمد عليها إلا بعد أن يتمَّ نشر الكتاب ، ويزداد الرجوع إليه في المباحث التاريخية .

لقد صدرت دراسة جديدة عن مصادر تأريخ مدينة دمشق قام بها الدكتور غيرهارد كونراد (Gerhard Conrad) خريج جامعة بون بألمانيا ، وتناول فيها آثار أبي الحسين الرازي (ت ٣٤٧هـ) التي وردت في كتاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عساكر (شتوتغارد ١٩٩١ ، ١٥١ صفحة) . وقد عثر د. كونراد على رواية مؤلفات أبي الحسين الرازي واكتشف أهميته مؤرخاً لبلاد الشام حين اطلاعه بدمشق في سنتي ١٩٨٢ – ١٩٨٣م على مخطوطات تاريخ ابن عساكر . وهيأت له بحوثه التي قام بها دراسة ثانية أيضاً عن قضاة الشام ومذهب الأوزاعي ، ستنشر في سلسلة المعهد الألماني ببيروت .

يتضمن كتابه المؤلّف في آثار أبي الحسين الرازي قوائم النصوص التي اقتبسها ابن عساكر عنه . ويسعى د. كونراد إلى إلحاق هذه النصوص بمؤلفات أبي الحسين التي يحتمل أن يكون ابن عساكر أخذ منها . ولا تشمل دراسته كل النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين عند ابن عساكر ، لأن كتاب تأريخ مدينة دمشق يحتوي ، حسب تقدير الباحث ، على مقتبسات أخرى في المجلدات التي لم يحلّلها .

يستعرض المؤلف في مقدمته الدراسات الغربية في تاريخ بلاد الشام لأربعة القرون الأولى الهجرية ، ويكشف عن قلة استخدامها تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وإغفالها الرجوع إلى المعلومات التي نقلها ابن عساكر عن الكتب الأصول . ويقصد د. كونراد بدراسته المشاركة في استخراج كتب التأريخ القديمة .

أما أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الجنيد الرازي فقد أشير إلى أهميته في مقدمة الجزء الثاني من تأريخ مدينة دمشق ، وفي مقدمة كتاب « أمراء دمشق في الإسلام » الذي يتضمن كتاب « ذكر من ولي إمرة دمشق في الإسلام » للصفدي . وقد اختصر فيهما الأستاذ صلاح الدين المنجد ترجمة أبي الحسين من تأريخ ابن عساكر ، ولكنه لم يقارن بين عناوين مؤلفات أبي الحسين المذكورة عند ابن عساكر والمرويات عنه التي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وردت في كتابي ابن عساكر والصفدي .

لا تتوفر المعلومات عن أبي الحسين الرازي في كتب التراجم ، ويذكره لأول مرة الكتّاني في ذيله لكتاب « مولد العلماء ووفياتهم » لأبي سليمان محمد بن زبر الربعي . أما ابن عساكر فيسمّي في ترجمته القيمة اثنين وخمسين رجلاً من شيوخ أبي الحسين والرواة عنه . وقد كمّل د. كونراد هذه القائمة بأسماء (٣١) شيخاً ورد ذكرهم في النصوص التي يرويها ابن عساكر عن أبي الحسين . ثم ثبّت هذه الأسماء كلها ورتّبها حسب بلدانهم ووفياتهم . تدلّ هذه المعلومات على رحلات أبي الحسين في طلب العلم ، ويستنتج د. كونراد منها تأريخ نزوله دمشق (في السنة ٣١٧هـ) ، وسكنه فيها حتى توفي بها في السنة ٣٤٧هـ .

قسم د. كونراد دراسته إلى ستة فصول :

تناول في الفصل الأول النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين في تسمية أمراء دمشق ما بين سنتي ١٣٢ و٣٣٧هـ . وقد جمعها د. كونراد (وعددها ١٠٨) مما ورد في كتاب « ذكر من ولي دمشق » للصفدي ، الذي أخذها عن ابن عساكر ، وكشف جزءاً كبيراً منها في تأريخ مدينة دمشق ، يرويها ابن عساكر عن أبي الحسين .

يضاف إلى هذه المجموعة عشرون نصاً من تأريخ ابن عساكر لا تخص المترجمين عند الصفدي ، بل تخبر عن حوادث متعلقة بنشاط ولاة دمشق ، لكن ابن عساكر لا يذكر لكل هذه النصوص عنوان كتاب لأبي الحسين ، ويكتفي بقوله : « قرأتُ بخط ، أو كتاب أبي الحسين » .

إن تحليل أسانيد هذه النصوص يوضح بعضاً من مصادرها . من بينها مجموعة لإسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي كان والي حمص حتى السنة ١٩٤هـ ، ونصوصٌ ترجع إلى أحمد بن المعلَّى بن يزيد الأسدي (ت ٢٨٦هـ) ، الذي ألف كتاباً مشهوراً « في جامع دمشق وبنائه » . يعرض د. كونراد أخيراً نصوصاً تتضمن تفصيلات تاريخية تزيد من معرفتنا للعصر الأموي ، والقرن الأول العباسي في بلاد الشام .

أما الفصل الثاني فيعالج نصوصاً يقدّمها ابن عساكر بقوله : « ذكر أبو الحسين الرازي في تسمية كُتّاب أمراء دمشق » ، ولا يمكن أن نقطع إن كان أصل هذه النصوص كتاباً مستقلاً لأبي الحسين ، وهي تكوّن موضوعاً مهماً يتضمن خمسين نصاً . وقد قام د. كونراد بمقارنة بينها وبين المصادر الأخرى التي تسمّي كُتّاب دمشق ، مثل « تاريخ خليفة بن خياط » و« كتاب الوزراء » للجهشياري ، وأثبت عدم تطابق هذه المواد ، وذلك بسبب النقص في الرواية عن أبي الحسين عند ابن عساكر .

ويناقش المؤلف في الفصل الثالث (٢٧) نصاً تتحدث عن فضائل دمشق ، قدمها ابن عساكر بقوله : « قرأتُ بخط ، أو كتاب أبي الحسين » . وضمّ إليها سبعة نصوص تخبر عن محبة الخليفتين المأمون والمتوكِّل لدمشق . وذكر ابن عساكر كذلك من كتاب لشيخه عبد الرحمان بن أحمد بن علي بن صابر السلمي (ت ٥١١هـ) بعض القصص التي تتحدث عن الأنبياء الذين خطوا أو بنوا دمشق ، وهي منسوبة إلى أبي الحسين . ونجد ضمن هذه المجموعة ذكر عنوان : « في معرفة الآثارات بمدينة دمشق وغوطتها مما تُرجى إجابة الدعاء فيها » ، وثَمَّ عدد النصوص تطابق هذا العنوان .

يسند أبو الحسين الرازي كثيراً إلى محمد بن أبي طيفور الجرجاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ت ٢٤٧هـ) الذي قال ابن عساكر فيه : « صنَّف جزءاً يشتمل على فضل دمشق وصحة هوائها وعذوبة مائها يحض به المتوكل على الخروج إليها ، حين عزم على قصدها » . وكشف د. كونراد عن مصدر ثان في مجموعة ليحيي بن حمزة الحضرمي البلخي (ت ١٨٣هـ) الذي ينسب أبو الحسين إليه أحد عشر نصاً .

وموضوع الفصل الرابع مجموعة من الأخبار في « دور دمشق » حفظها ابن عساكر في المجلد الأول لتأريخه ، مع مقدّمة لأبي الحسين الذي يسمّي فيها مصادره . وصحّح د. كونراد النص المطبوع (تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد) ، واستدرك عليه مما وجد في المخطوطات (ولا سيما مخطوطة أحمد الثالث) ، وبيّن ما زاد ابن عساكر على الأصل في تعلقياته . كما درس مسألة قرينة النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين جميعاً ، ويبدو كتاب (دور دمشق) في هذا الضوء باباً من كتاب شامل للرازي . ثم يوجه النظر ، كما فعل فيما سبق ، إلى المصادر وهي مذكورة في مقدمة المجموعة ، ويظهر فيها محمد بن عائذ القرشي (مولاهم ، ت ٢٣٣هـ) الذي يروي أخباراً في نزول الصحابة دمشق .

يحوي الفصل الخامس عدداً كبيراً (١٢١ نص) من معلومات مهمّة فيمن كتب أبو الحسين عنه بدمشق . إن هذه المواد التي تشتّتْ في تأريخ ابن عساكر تمثل تطور تسمية الشيوخ ما قبل المشيخات ومعجمات الشيوخ . فهي لا تحتوي على أحاديث الشيوخ أو آثارهم ، ولكن نجد فيها تأريخ وفيات الشيوخ ، وملاحظات تلقي ضوءاً على « معلمي حارات دمشق » ، وعلى الحلقات في جامعها . وجد ابن عساكر هذه التسمية بخط نجى بن أحمد العطار (ت ٤٦٩هـ) الذي نقلها من خط أبي الحسين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينهي المؤلف دراسته القيمة المفيدة بالفصل السادس ، يذكر فيه بكلمة « كتاب مناقب الشافعي » المنسوب إلى أبي الحسين . ولا يوجد منه حتى الآن إلا خبران يجيزان التقدير أنهما تابعان لهذا الكتاب المفقود .

وقد زود المؤلف كتابه أخيراً بفهرس شامل للأعلام يسهّل للقارئ الاطلاع على مساهمة جيدة في البحث عن تأريخ دمشق ومؤرخيها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net